بأمر السيد .. المدير !

ـ ينقل المهندس السيد احسان حسن من مركز عمله في ..

كانون اول ، او كانون الثاني ، الجو بارد خارج الفصل . المطر ينهمر رذاذا منذ اول حصة ، والهدوء في ساحة المدرسة الترابية الخيالية يزيد الجو برودة وقتامة . التفت المعلم عبيد السمين الاسمر الوجه من السبورة وسأل التلاميذ وكأنه تذكر شيئا :

ـ اين حمزة ؟

حمزة غائب منذ سبعة ايام . لا احد يعرف لماذا غاب حمزة طيلة هذه المدة .. صمت التلاميذ وكاد المعلم عبيد ان يواصل الكتابة على السبورة . وهبت ريح باردة رطبة تحمل رائحة شجرة السدر المتوحدة في ساحة المدرسة الترابية . الا ان المعلم عبيد ظل ينظر في وجوه التلاميذ الصامتة الباهتة . صاح المعلم عبيد :

ـ احسان حسن ...

تردد تلميذ يجلس في نهاية الفصل .. نهض التلميذ واجاب بصوت خائف :

ـ نعم !

قال المعلم عبيد السمين الاسمر بصوته الخشن المرعب :

ـ الا تعرف اين حمزة ؟.. انه يلعب امام بيتكم دائما ..

وكان الرذاذ ما يزال ينهمر في ساحة المدرسة الترابية .والبرد هجم الى داخل الفصل فارتجف احسان واجاب بصوت واهن :

ـ يقول حمزة .. انه لن يأتي الى المدرسة ابدا ..

ولما ظلت عينا المعلم عبيد تحدقان نحوه ورؤوس التلاميذ ملتفتة اليه .. اضاف ببطء :

ـ يقول حمزة .. ان العمل احسن من الذهاب الى المدرسة .

وكان الصمت ما يزال مخيما في الفصل ووشوشة الرذاذ تسمع من ساحة المدرسة الترابية . وكان الجميع يواصلون التحديق فيه فاعقب :

ـ يقول حمزة .. انه سيساعد اباه في عمله في الفحامة .

وتجرأ تلميذ ذو انف كبير فضحك وقال بصوت مخشوشن :

ـ وجهه سيكون اسود كالعبد مادام سيشتغل فحاما !

لم يضحك بقية التلاميذ .. استأنف المعلم عبيد السمين الاسمر:

ـ تهاجر الطيور جماعات ويطير الجراد اسرابا اسرابا ، الا ان ..

وينذر بالفصل في حالة ..

حرب السويس ، مظاهرات طلابية صاخبة تخرج من متوسطة البنين ، تحتشد المدينة على ارصفة الشوارع ولم يكن احسان حسن غير طالب يركض في المؤخرة ، يخاف الالتحام في المظاهرة ولا يستطيع الانفصال عنها . قرر السير في المؤخرة .. صافرات . وشرطة تتقياهم سيارات الحمل . في ايديهم هراوات . في ساحة المدينة الرئيسة اختلط كل شيء ..اقتادوه الى مركز الشرطة وبات ليلة في الموقف مع طلاب اخرين وشباب كالحي الوجوه . كان حمزة يجلس في زاوية من غرفة التوقيف وحوله يتحلق الكثيرون ، وبالفعل كان حمزة اسود الوجه كالعبد من اثر الفحم ، كما قال يوما ذلك التلميذ الضاحك ذو الانف الكبير والصوت المخشوشن . وقد قال احسان له:

ـ لا تهتم حمزة .. استطيع ان اساعدك كثيرا .

فقال حمزة :

ـ كيف تستطيع ؟

فاجاب احسان ورائحة العرق الرجولي في غرفة التوقف تكاد تصيبه بالاغماء :

ـ ساطلب من والدي ان يكفلنا نحن الاثنين .

فابتسم حمزة وهو يقول :

ـ وهؤلاء .. من يكفلهم !

وكان يشير بيده نحو الاخرين المزدحمين في غرفة التوقيف . ثم اعقب :

ـ مساعدتك في ان تكون واحدا منا ..

الا ان احسان حسن اخرج بكفالة بعد قليل . واصبح مهندسا بعد عدة سنوات ..

وذلك لسوء استخدامه لمركزه بمحاولته فرض رأيه كرئيس لجنة اختبار سواق الحفارات ..

الجو حار في تموز ، والشمس حاقدة في اعالي السماء ، ولجنة الاختبار تهرب من الاشعة الحامية داخل سيارة اللاندروفر .. الرجال يروحون ويجيئون ، سمر الوجوه كالطين ، يتلامعون كنصال الخناجر

المنزوعة من اغمدتها ، مكائن الحفر تزمجر كوحوش ضارية تحاول افتراس الارض . نقاش في داخل السيارة بين اعضاء لجنة الاختبار.. مهندس نعيم يقول يجب ان ينجح فلان ، الخبير الروسي كولا يقول.. جورت قازمي . المهندس احسان يقول .. لا وساطات انظروا نحو الحفارة الان .. هبط من الحفارة رجل اسمر كالاخرين .. غاضب كالاخرين .. ينزف وجهه عرقا غزيرا . مسح جبهته بكمه ووقف في الشمس خارج السيارة ينتظر اسئلة لجنة الاختبار يسأل مهندس احسان :

ـ ما هي نقاط التشحيم ؟..

اسئلة واجوبة . قبل ان يذهب الرجل ، اخرج من جيبه مظروفا طويلا وناوله للمهندس احسان . ففى المظروف وقرأ الرسالة . فتح الباب وهبط من السيارة . وقف المهندس احسان تحت وهج الشمس الحامي امام حشد الرجال الكبير ، متلامعي الوجوه ، غاضبي النظرات. وصاح بصوت مرتفع :

ـ يا جماعة .. كل توسط لرفع اجركم او لانجاحكم لن ينفع ، كل حسب كفاءته .. يكفي وساطات !.

همهم الرجال فيما بينهم . لم يصدقه احد ، والرجل الاخر الذي اختبر فيما بعد قدم له مظروفا آخر فمزقه المهندس احسان وصاح بقوة :

ـ الاخر .. حمزة جابر ..

جاءه صوت مهموم خشن من داخل الحشد وضوء الشمس وعرق الرجال ..

ـ نعم ..

ـ اصعد الى الحفارة ..

عندما هبط حمزة ، وقف امام رئيس لجنة الاختبار المهندس احسان حسن ، رجل طويل ، نحيف جدا ، والالم في عينيه فظيع جدا ، رأسه كبير وخلف وجهه المجهد المفضن المعروق يختفي وجه اخر . حدق مهندس احسان نحوه وسأل وهو يعقد حاجبيه :

ـ اسمك .. حمزة جابر ؟!

قال حمزة :

ـ نعم .. حمزة جابر ..

سأل احسان :

ـ الا تعرفني ؟!

حمزة جابر لم يستطع ان ينظر في عيني رئيس لجنة الاختبار ، ربما بسبب ضوء الشمس الشديد ، او ربما بسبب سيول العرق التي كانت تنهمر من جبهته نحو عينيه . قال بلهجة خائفة مترددة :

ـ لا والله .. العتب على النظر .

وبلا خجل ، دمعت عينا مهندس احسان فوضع نظارته السوداء امام عينيه ، والتفت بعيدا عنه ينظر نحو الحقول والسماء والاشجار التي تحركها الريح . طرحوا على حمزة اسئلة كثيرة .. ارتبك حمزة امام لجنة الاختبار ، بخاصة امام رئيس لجنة الاختبار فلم يعرف الجواب على بعضها وذهب حمزة . واختلف اعضاء لجنة الاختبار على نتيجته، واخيرا اعتبر حمزة جابر ناجحا باصرار من رئيس اللجنة المهندس احسان حسن .

.. وهذا هو امر السيد المدير العام

بنقله يصدر ، بعد عدة سنوات اخرى !..

موسكو **برهان الخطيب**

ماركيوز أو فلسفة الطريق المسدود

تاليف محمود امين العالم

يعتقد المؤلف ، وهو واحد من كبار المثقفين التقدميين العرب ، ان الفكر العربي المعاصر فكر مأزوم لانه يفتقد النظرية العلمية الواضحة والخبرة العملية المتنامية . و « في سعينا المأزوم الى الوضوح الفكري، الى التحرر الوطني والاجتماعي ، الى الوحدة القومية ، كانت تطل علينا بين الآن والآخر صيحات تزعم في نبراتها العالية نبوة الخلاص . على انها لم تكن تفعل شيئا غير ان تضاعف من محنتنا ومن ازمتنا ... برجسون .. سارتر والوجودية ... الوضعية المنطقية والبرجماتية ... واخيرا تطل علينا الماركيوزية لتقدم نبوءة جديدة للحرية (...) ولكنها في الحقيقة تسعى لتطمس الوعي الصحيح بحقائق حياتنا ووقائع عصرنا ، وتدفع بفكرنا ونضالنا الى ما أزعم انه طريق مسدود . »

وهكذا يكون هذا الكتاب ادانة كاملة لفكر ماركوز، وهذه الادانة قائمة على دراسة لآثار ماركوز ومواقفه. وكما سبق لدار الآداب ان قدمت بعض آثار ماركوز للقارىء العربي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة تبنيها لهذا الفكر ، فانها تقدم اليوم نقدا لهذا الفكر بقلم مفكر عربي ماركسي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة ايضا انها تقر وجهة نظره ، هذه الوجهة التي هي قابلة حتما للنقاش .

يصدر قريبا